بسم الله الرحمن الرحيم

مجالس شرح تفسير الجلالين

الدرس الثاني

سورة الفاتحة: من قول الجلال المحلي «سورة الفاتحة مكية» إلى قوله «بكونها من مقول العباد»

الخميس ٢٥ جمادى الأولى ١٤٤٨هـ، الموافق ٥ نوفمبر ٢٠٢٦م

ألقاه فضيلة

الدكتور علي سنوسي

تفريغ الدرس الصوتي مرتبًا تحت عناوين، والكلام كلام الشيخ؛ أما العناوين فمن وضع المفرّغ، وأما نص المتن المؤطَّر فمنقول من تفسير الجلالين.

تمهيد:

اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلًا، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلًا. اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك. ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي﴾. اللهم إياك نعبد وإياك نستعين، اللهم أعنا وسددنا.

◆ ما مضى في المجلس الماضي:

أيها الأحبة، في مجلسنا الماضي ذكرنا مسائل تتعلق بمكانة القرآن ومنزلته في حياة الأمة، بل في حياة البشرية كلها، وذكرنا مكانة التفسير بين علوم الإسلام، فقلنا: إن تفسير القرآن وبيان معانيه من أجلّ العلوم؛ لأنه يتعلق بأشرف كلام، وهو كلام الله تعالى، ومعلوم أن **شرف العلم يكون بشرف متعلَّقه**؛ ولذلك كان تفسير كلام الله عز وجل مما ينبغي لطالب العلم، بل للمسلم، أن يعتني به.

وذكرنا أيضًا في مجلسنا الماضي أنه لا ينبغي لأي إنسان أن يتكلم في كتاب الله عز وجل؛ فإن مهمة الكلام في كتاب الله ومهمة بيان معانيه تُسند إلى أهل العلم الذين آتاهم الله عز وجل الوسائل والمؤهلات والآلات التي بها يُفهم كلام الله عز وجل، وبها يُبين كلام الله عز وجل للأمة. ولذلك العلماء سابقًا، سلفنا الصالح، كانوا يتهيبون الكلام في القرآن الكريم، ونحن بذلك أولى. ونحن في مجالسنا هذه ننقل كلام أهل العلم الذين سبقونا في بيان معاني كلام الله عز وجل.

◆ البدء بتفسير الجلالين، ومن فسّر ماذا:

واليوم إن شاء الله نبدأ بتفسير الإمامين الجلالين: جلال الدين المحلي، وجلال الدين السيوطي، والذي بيّنا مكانته في المجلس السابق، وقلنا: إنه من أجود وأفضل كتب التفسير لطالب العلم؛ لاختصاره، ولأنه يشتمل على علوم كثيرة، من أحاط بها فإنه يتهيأ له فهم كلام الله عز وجل. واليوم إن شاء الله تعالى نبدأ بتفسير سورة الفاتحة للإمام جلال الدين المحلي.

- **جلال الدين المحلي**: فسّر نصف القرآن، من سورة الكهف إلى سورة الناس، وفسّر أيضًا سورة الفاتحة.
- **جلال الدين السيوطي**: فسّر القرآن الكريم من سورة البقرة إلى نهاية سورة الإسراء.

> **منهج الدرس**: منهجنا إن شاء الله تعالى هو عدم التطويل، وأن نلتزم بكلام الإمامين الجليلين الجلالين، وألا نتشعب؛ لأن الكلام في كتاب الله عز وجل وفي تفسيره وبيانه واستنباط الفوائد والحِكم واللطائف والأسرار

يأخذ وقتًا طويلًا، ولا يمكن أن يُحاط به في مجالس. ولذلك إن شاء الله نجعل هذا المجلس مجلسًا تعليميًّا، وفي نفس الوقت يكون مجلسًا نستفيد فيه الدروس من كتاب الله عز وجل التي تنفعنا في حياتنا الدنيوية والأخروية.

أولًا: قوله «سورة الفاتحة»:

قال الجلال المحلي رحمه الله: سورة الفاتحة.

◆ فضلها وكثرة أسمائها:

سورة الفاتحة هذه من أفضل سور القرآن الكريم، ولها فضائل كبيرة وعظيمة، ولها أسماء كثيرة تفرّدت بها من بين سور القرآن الكريم؛ ليست هناك سورة من سور القرآن تميزت بكثرة هذه الأسماء. ويقول أهل العلم: **إن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمّى**.

- **الفاتحة**: لأنه افتُتح بها القرآن الكريم وبُدئ بها.
- **السبع المثاني**: لأنها تُثنّى في الصلاة، أي تُكرَّر؛ تصلي بها في الركعة الأولى، وفي الثانية، وفي الثالثة، وفي الرابعة، إلى آخره.
- **الكافية**: لأنها تكفي قراءتها في الصلاة، ولا يكفي غيرها عنها؛ فإن قرأت القرآن كله من أوله إلى آخره في صلاتك ولم تقرأ الفاتحة فإن ذلك لا يكفي، ولكن الفاتحة إن قرأتها وحدها ولم تقرأ غيرها فإنها كافية.
- **الوافية**: سماها بذلك بعض السلف، كأنها كاملة وليست ناقصة.
- **الرقية**: لحديث أبي سعيد الخدري، حيث إنه رقى ذلك المشرك، وجاء إلى النبي عليه الصلاة والسلام هو وأصحابه، وفي آخر الحديث: «وما يدريك أنها رقية»؛ أي أن المريض يرقي بها نفسه أو يرقي غيره للاستشفاء بها.
- **الشفاء، والشافية**.

ولها أسماء كثيرة: منها ما هو في القرآن، ومنها ما كان في السنة، ومنها ما ذُكر عن بعض السلف من التابعين. المهم أن هذه السورة العظيمة الجليلة لها أسماء كثيرة، وهذا يدل على شرفها.

◆ أم القرآن وأم الكتاب:

ومن أهم أسمائها أيضًا أنها تسمى **أم القرآن**، وتسمى **أم الكتاب**. وأمّ الشيء أصله الذي يتفرع منه غيره؛ فسورة الفاتحة سميت أم القرآن لأنها اشتملت على علوم القرآن كله، فهي كالأصل، وبقية سور القرآن كالفرع الذي تفرع من هذا الأصل. بمعنى أن سورة الفاتحة، التي هي سبع آيات فقط، تضمنت كل علوم القرآن إجمالًا، وبقية السور جاءت مفصِّلة لذلك الشيء المجمل في سورة الفاتحة:

- فمن علوم الإسلام **العقيدة**، وهي أهم علوم الإسلام، واشتملت عليها الفاتحة.
- ومن علوم الإسلام **الفروع الفقهية**، وهو ما يسمى الآن بالفقه، المشتمل على بيان العبادات والمعاملات، وهذا اشتملت عليه أيضًا سورة الفاتحة.
- ومن علوم الإسلام **الحديث عن الآخرة** والحديث عن يوم الدين وما فيه من أمور كثيرة، اشتملت هذه السورة عليه إجمالًا.
- وكذلك من علوم الإسلام **الحديث عن أهل السعادة وأهل الشقاوة**، أيضًا اشتملت عليه سورة الفاتحة.

وبعد ذلك جاءت السور، من سورة البقرة إلى سورة الناس، تفصيلًا لهذه العلوم؛ ولأجل ذلك سميت أم القرآن، وسميت كذلك أم الكتاب.

ثانيًا: قوله «مكية»:

> **قال الجلال المحلي رحمه الله:** سورة الفاتحة مكية.

◆ المكي والمدني:

أيها الأحبة، إن القرآن الكريم قسمه علماؤنا إلى قسمين: إلى قرآن مكي، وقرآن مدني.

- **القرآن المكي**، في أرجح تعاريفه: ما نزل قبل الهجرة، ولو كان بغير مكة.
- **القرآن المدني**: هو الذي نزل بعد الهجرة، ولو كان في غير المدينة.

إذن القرآن الكريم فيه آيات وسور مكية، وفيه آيات وسور مدنية. ما نزل قبل هجرة النبي عليه الصلاة والسلام من مكة إلى المدينة فإنه يسمى بالقرآن المكي، وتسمى سوره بالسور المكية. وما نزل بعد الهجرة فإنه يسمى بالمدني،

وإن كان خارج المدينة، كأن يكون في خروج النبي عليه الصلاة والسلام للغزوات مثلًا خارج المدينة، وينزل عليه شيء من القرآن، فإن هذا يسمى مدنيًّا أيضًا. وبناء على هذا التقسيم قال المؤلف: إن سورة الفاتحة مكية.

◆ الخلاف في الفاتحة، والراجح أنها مكية:

اختلف أهل العلم في سورة الفاتحة: منهم من قال: إنها مكية، ومنهم من قال: إنها مدنية، ومنهم من قال: إنها نزلت مرتين، مرة في مكة ومرة في المدينة. ولكن أرجح الأقوال وأصوبها، والذي تدل عليه ظواهر الأدلة، هو **أنها مكية**:

- لأن من أسمائها، كما سبق أن قلنا، أنها تسمى **السبع المثاني**، والآية التي تضمنت الحديث عن السبع المثاني، وهي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾، هذه الآية في سورة الحجر، وسورة الحجر مكية بإجماع المفسرين. هذا من أقوى الأدلة التي تدل على أن سورة الفاتحة مكية.
- ومن الأدلة أيضًا أن سورة الفاتحة **اقترنت بالصلاة**، وكلنا يعلم أن الصلاة فُرضت في مكة، وقال العلماء: إنه لم يُعهد أن كانت هناك صلاة بلا فاتحة. وهذا أيضًا دليل قوي على أن سورة الفاتحة مكية؛ لأنها ركن من أركان الصلاة، والصلاة فُرضت في مكة، ومعها سورة الفاتحة.

يقول المؤلف رحمه الله: «سورة الفاتحة مكية»، وقلنا: هذا هو الصواب إن شاء الله.

ثالثًا: قوله «سبع آيات بالبسملة إن كانت منها»:

> **قال الجلال المحلي رحمه الله:** سبع آيات بالبسملة إن كانت منها، والسابعة ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ﴾ إلى آخرها، وإن لم تكن منها فالسابعة ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ﴾ إلى آخرها.

◆ الإجماع على أنها سبع آيات:

«سبع آيات»: أيضًا هذا بإجماع المفسرين؛ أجمع المفسرون على أنها سبع آيات، وليست ثماني آيات ولا ست آيات. ذكر بعض أهل العلم عن بعض الناس أنه قال: إنها ثماني آيات، ومنهم من قال: إنها ست آيات، وهذا بمثابة خرق الإجماع. الصحيح المجمع عليه أنها سبع آيات، ليست أقل من سبع، ولا أكثر من سبع.

◆ الخلاف في عدّ الآيات: هل البسملة آية منها؟

لكنه مختلَف في هذه الآيات السبع: أتبدأ من البسملة أم تبدأ من الحمدلة؟ الآية الأولى: أهي ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾، أم هي ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾؟ الخلاف وقع هنا، والخلاف طويل وعريض وواسع، ولا نخوض فيه، ولكن نذكر شيئًا يسيرًا منه.

وهو أن بعض أهل العلم قال: **إن البسملة ليست من الفاتحة**، والفاتحة سبع آيات بلا بسملة، الآية الأولى تبدأ من ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. وهذا هو مذهب فقهاء المدينة، وفقهاء الشام، وفقهاء البصرة، وكذلك قرائها:

- أئمة **البصرة** من القراء، كالإمام البصري أبي عمرو.
- وأئمة **الشام** من القراء، كالإمام عبد الله بن عامر الشامي، القارئ من القراء السبعة.
- والإمام **نافع**، من أئمة **المدينة** ومن قرائها.

هؤلاء عندهم الفاتحة تبدأ من ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، والبسملة ليست من الفاتحة.

وأما **فقهاء مكة وفقهاء الكوفة**: والكوفيون هم العراقيون؛ العراق فيها مدينة البصرة، وفيها كذلك الكوفة، وهاتان مدينتان قديمتان مشهورتان، ولهما تاريخ فيما يتعلق بالعلوم: بعلوم اللغة، وعلوم الإسلام، وبالفقه، إلى آخره. فالإمام أبو حنيفة مثلًا من أهل العراق، من الكوفيين، وهو من فقهاء العراق، والإمام الشافعي مكي.

هذا الخلاف بين أهل العلم في تعداد الآيات السبع وقع، كما قلنا، بين علماء المدينة والشام والبصرة وقرائها من جهة، وعلماء مكة والكوفة من جهة. والفقهاء، فقهاء الأئمة الأربعة: منهم من رأى أن الفاتحة تبدأ من ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وقال: إن ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ليست من الفاتحة؛ ولذلك في الصلاة لا يقرؤون ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾، ويبدؤون بـ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وهؤلاء فقهاء المدينة كالإمام مالك رحمه الله تعالى، وكذلك فقهاء الشام، وكذلك فقهاء البصرة.

وأما فقهاء مكة كالإمام الشافعي، وكذلك فقهاء الكوفة... أما أبو حنيفة فكان مع الذين يرون أن البسملة ليست من الفاتحة. **والإمام الشافعي رحمه الله يرى أن الآية الأولى هي ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾.**

◆ عدّ الآيات عند الشافعية:

- الأولى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾.
- الثانية: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

- الثالثة: ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾.
- الرابعة: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾.
- الخامسة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.
- السادسة: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.
- السابعة: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾.

هذه هي الآيات السبع عند الشافعية؛ ولذلك ترى الشافعية إذا صلّوا يجهرون بالبسملة، لأنها عندهم من الفاتحة، وقراء المدينة وفقهاؤها لا يجهرون. هكذا جرى الخلاف.

◆ الجمع بين القولين بالنظر إلى القراءة:

بعض أهل العلم جمع بين الرأيين، وقال: هذه المسألة نعتمد فيها على القراء؛ فمن كان يقرأ بقراءة الكوفيين والمكيين فالبسملة عنده هي الآية الأولى، ويقرأ بها في صلاته، ويجهر بها. ومن كان يقرأ بقراءة أهل المدينة، كقراءة نافع، أو قراءة أهل الشام، كقراءة عبد الله بن عامر الشامي، أو قراءة أبي عمرو بن العلاء البصري، فإنه لا يقرأ بـ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾. لذلك قال الإمام صاحب «المراقي»:

> **قال صاحب المراقي:** وبعضهم إلى القراءة نظر ... وذاك للوفاق رأيٌ معتبر

للجمع بين الأقوال، وهذا كلام صحيح.

◆ الآية السابعة عند من لا يعدّ البسملة:

المهم أيها الأحبة، حتى لا نطيل في هذه المسألة: خلافٌ جرى في البسملة: أهي الآية الأولى، أم هي ليست آية من الفاتحة؟ فالذين قالوا: إن البسملة ليست من الفاتحة، ما هي الآية السابعة عندهم؟ الآية السابعة عندهم تبدأ من ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ هذه آية، هذه السادسة، و﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ هذه السابعة. وعليه فإن الفاتحة سبع آيات، وليست أكثر من ذلك ولا أقل، ولكن الخلاف في عدّ هذه الآيات السبع.

◆ الخلاف في البسملة في سائر السور:

وذلك أن العلماء اختلفوا في البسملة: أهي آية من الفاتحة أم ليست آية؟ منهم من قال: إنها آية من الفاتحة، ومنهم من قال: إنها ليست آية من الفاتحة. وانجرّ الخلاف إلى بقية السور: هل البسملة آية من كل سورة، ما عدا براءة؟ وبراءة ليست البسملة آية منها بالإجماع؛ ولذلك المصاحف كلها خالية من البسملة في بداية سورة التوبة.

وأما بقية السور، فالمصاحف التي بأيديكم كلها يُكتب في أولها ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾، ولكن لاحظ أنهم لا يكتبون رقمًا من الأرقام كما يفعلون في أثناء آيات السور، يكتبون على رأس الآية الأولى رقم واحد، والثانية رقم اثنين؛ هذا في البسملة لا نرى فيه ذلك، ونرى ذلك في البسملة التي في بداية الفاتحة، بالخلاف الذي حصل؛ فمنهم من يكتب رقم واحد على رأس ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾.

المهم أن هذا الخلاف طويل، ولا ننشغل به، وإنما نريد فقط إشارةً للسامعين، بحيث لو قرأ كتب أهل العلم عرف أن هذه المسألة فيها خلاف بين أهل العلم: أهي آية من الفاتحة ومن كل سورة إلى سورة الناس؟ أم أنها ليست آية، لا من الفاتحة ولا من كل سورة من الفاتحة إلى الناس؟ أم أنها آية من الفاتحة فقط، وليست آية من بقية السور من البقرة إلى الناس؟ وهذا هو الخلاف، ولا يهمنا كثيرًا الآن.

◆ تعقيب على عبارة المؤلف «إن كانت منها»:

الإمام المحلي ماذا قال؟ قال: «مكية، سبع آيات بالبسملة إن كانت منها»، أي إن كانت البسملة من الفاتحة. **طبعًا هذا التعبير غير سديد**؛ لأنكم كما تعلمون أيها الطلاب أن هناك علمًا يسمى **علم أصول الفقه**، وهذا العلم فيه باب يسمى **المنطوق والمفهوم**، والمفهوم ينقسم إلى قسمين: إلى مفهوم موافقة، ومفهوم مخالفة، ومفهوم المخالفة أنواع، ومنه **مفهوم الشرط**.

بمعنى أنك إذا قلت: «إن جاءني فلان أكرمته»، هذا يدل على أن فلانًا إذا جاء فإنك تكرمه، ويُفهم من شرطك هذا، لأنك شرطت فقلت: إن جاء أكرمته، أن مفهومه أنه إن لم يأتِ فلا إكرام له عندك. هذا يسمى مفهوم مخالفة، ويسمى مفهوم الشرط؛ لأن الكلمة التي في أول الكلام كلمة شرطية؛ «إن» أحيانًا شرطية، تدل على أنك تشترط شيئًا على حصول شيء، بأن هذا الشيء لا بد أن يكون حتى يكون الشيء الفلاني. هذا معنى الشرط. وأنتم تتحدثون بهذه العبارات والأساليب، لكن ربما بعضكم لا يفهم المصطلح العلمي فيها.

فهنا المؤلف قال: «إن كانت منها»، مفهوم ذلك أنها إن لم تكن منها فليست الفاتحة سبع آيات، وليس الأمر كذلك، بل هي سبع آيات، سواء كانت البسملة منها أم لم تكن البسملة منها؛ فالفاتحة سبع آيات. والحقيقة هذه عبارة ربما وقعت سهوًا من الإمام.

> **الخلاصة:** المؤلف أراد شيئًا، ولكن عبارته ليست دقيقة في مراده. هو أراد أن الفاتحة سبع آيات: إما بالبسملة إن كانت البسملة منها، وإما بغير البسملة إن لم تكن البسملة منها.

قال لك: «سبع آيات بالبسملة إن كانت منها»، أي إن كانت البسملة من الآيات السبع، فما هي الآية السابعة؟ قال: «**والسابعة ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ﴾ إلى آخرها**»: **﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾**، هذه كلها آية واحدة، هذا إذا كانت البسملة عددناها من الآيات السبع. ثم قال: «**وإن لم تكن منها**»، أي إن لم تكن البسملة من الفاتحة، وإنما الفاتحة تبدأ من **﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾**، فما هي الآية السابعة؟ قال: «**فالسابعة ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ﴾ إلى آخرها**». هذا كلامه، كلام واضح.

◆ قول آخر: البسملة قرآن للفصل والتبرك:

نحن قلنا يا جماعة: لا نريد أن نطيل الكلام في الجلالين؛ لأن مجلسنا في يوم واحد فقط، ونريد أن نأخذ شيئًا كثيرًا من كلام الإمامين الجليلين. فالمؤلف ذكر لنا الخلاف في البسملة، وهناك كلام كثير لا نريد أن نذكره.

منهم من قال: إنها ليست آية من الفاتحة، ولا آية كذلك من كل سورة، ولكنها **قرآن، أنزلها الله عز وجل للفصل بين السور، وللتبرك في ابتداء السور**: للفصل بين السور والتبرك معًا إن كانت بين سورتين، وللتبرك فقط إن كانت في بداية السورة، كسورة الفاتحة؛ سورة الفاتحة ليس قبلها سورة حتى نقول: إن البسملة فصلت بين الفاتحة وبين السورة الفلانية. إذن ما السر في الإتيان بها في بداية السورة، وقد قلتم: ليست من الفاتحة؟ السر أن الله أنزلها تبركًا بها في البداية في الفاتحة. هذا قول آخر أشرنا إليه أيضًا؛ لأننا لم نُشر إليه سابقًا.

رابعًا: قوله «ويقدَّر في أولها: قولوا»:

> **قال الجلال المحلي رحمه الله:** ويقدَّر في أولها «قولوا»؛ ليكون ما قبل **﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾** مناسبًا له بكونها من مقول العباد.

◆ المقدَّر ليس قرآنًا:

قال رحمه الله تعالى: «ويقدَّر في أولها»: هذا الذي يقدَّر ليس قرآنًا يا جماعة، هذا فقط من باب بيان نسق القرآن.

خامسًا: استطراد في تدبّر الفاتحة والصلاة:

◆ ينبغي أن نغيّر نظرتنا إلى الفاتحة:

الآن أنت إذا نظرت إلى الفاتحة يا جماعة... أنا أريد منكم التركيز على تفسير الفاتحة؛ لأننا جميعًا نقرأ الفاتحة، سواء أكنا علماء أم كنا لسنا علماء، نساءً ورجالًا وأطفالًا. لكن هل كل الذين يقرؤون الفاتحة يتنبهون لمضامين الفاتحة، ولما تضمنته الفاتحة من آيات، ومن علوم، ومن معانٍ، ومن غرائب ولطائف كثيرة؟ هذه المسألة هي التي نريد إن شاء الله من هذا المجلس: أن نهتم بسورة الفاتحة، بهذه السورة العظيمة.

لا ينبغي أن تكون هذه السورة موروثة فقط، تلقيناها من آبائنا وأمهاتنا ومن معلمينا، وهكذا تلقيناها. ينبغي أن نغيّر نظرتنا هذه إلى سورة الفاتحة. سورة الفاتحة قلنا: هي كأنها قرآن مختصر، كأنها القرآن كله لكنه مختصر؛ كما سبق أن قلنا: سميت أم القرآن لأنها تضمنت، كما قال أهل العلم، علوم القرآن جميعًا إجمالًا، وجاءت السور بعدها مفصِّلة.

ينبغي أيها الأحبة أن ندرك إن شاء الله من هذا المجلس أهمية سورة الفاتحة، وندرك أهمية تدبر هذه السورة، ومحاولة فهم معانيها. والأمر يسير؛ لا ينبغي أن يقول أحد: أنا لست من أهل العلم، فكيف أفهم معاني الفاتحة؟ وكيف أفهم الفاتحة؟ وكيف أتدبرها؟ فالحقيقة كثير منا لا يدرك معاني هذه السورة، ولا يدرك مغازيها، ولا أسرارها، ولا فوائدها، ولا لطائفها.

◆ الصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر، والخشوع فيها:

العلماء ذكروا لك أن الصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر هي التي أقامها صاحبها. فأنت مطالَب بأن تصلي صلاة تنفعك وتنهاك عن الفحشاء والمنكر، والصلاة لا تكون كذلك إلا إذا أقامها المصلي بأركانها وشروطها، وكذلك ما يتعلق بها من السنن والفضائل. ومن أهم ما يتعلق بهذه الصلاة **الخشوع**.

الخشوع بمعنى أن تستجمع نفسك وقلبك في أثناء الصلاة، ألّا تخرج عنها؛ هذا هو الخشوع. خلاصة قلبك كله: كما أن جسدك استقبل القبلة، كذلك قلبك ينبغي أن يستقبل الله عز وجل، أن يتجه إلى ربه، وأن ينصرف عن الشواغل والصوارف والعوائق وعن الدنيا في هذه الدقائق اليسيرة، هي دقائق يسيرة.

كلنا ذلك الإنسان، كلنا نسرح في الصلاة، وكلنا لا نصلي تلك الصلاة، لكن الله لطيف بنا، والله رحيم بهذا التقصير. لكن نحاول ونجاهد أنفسنا ونقترب من تلك الصلاة، حتى وإن لم نصل إليها، نحاول الاقتراب منها بمجاهدة النفس.

◆ التدبر من أعظم ما يدفع إلى الخشوع:

ومن أهم ما يدفعك إلى الخشوع **التدبر**، والتدبر معناه التفكر في صلاتك كلها، في أقوالها وأفعالها؛ ينبغي أن تتدبر، أن تتفكر وتتأمل في الفاتحة.

عندما قلت: «الله أكبر» ورفعت يديك حذو منكبيك، بطون يديك إلى القبلة وظهورهما خلفك، والفقهاء يعللون تعليلات جميلة، كأنك برفعك لليدين وجعل الظهور خلفك طرحت الدنيا. والشيطان لا يترك الإنسان، يأتيك في الصلاة، وهنا ينبغي أن تجاهد نفسك.

ومن الأشياء المعينة على دفع وساوس الشيطان، وعلى دفع إشغال الإنسان بالدنيا في الصلاة، أن تتفكر في صلاتك، ابتداء من «الله أكبر». «الله أكبر»: هذه الجملة مكونة من كلمتين، فكّر فيها: الله أكبر من كل شيء. هذه بداية التدبر والتأمل؛ فأنت لو استشعرت هذا بقلبك، ليس بلسانك فقط، فهنا يخشع القلب ويهاب؛ لأنه بين يدي الأكبر من كل شيء.

◆ فائدة تكرار الأذكار في الصلاة:

انظر إلى فائدة التدبر: أنت لو تدبرت تكرار هذه العبادات، تكرار الأذكار، تكرار الفاتحة، تكرار الأدعية: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر... والتسبيح: سبحان الله؛ لو غفلت في المرة الأولى، فـ«سبحان الله» الثانية تجذبك وتردّك، و«سبحان الله» الثالثة. «سبحان ربي الأعلى»: فكّر في «الأعلى». «سبحان ربي العظيم». «ربي»: كلمة «رب» هذه نأتي عليها الآن، كلمة عظيمة جدًّا أيها الأحبة.

إذن أنت في البداية حاول. كلنا نسرح، أنا أول من يسرح، والجميع يسرح إلا من رحم ربه. هناك عباد لله عز وجل يصلّون الصلاة الكاملة، وهناك من الناس من هو مقصر، لكن الكل فيه خير، لكن بالمجاهدة إن شاء الله، حتى يثيبنا الله على المجاهدة، مجاهدة النفس، إلى أن نقبل عليه.

◆ تدبر البسملة ومكانتها:

إذن «الله أكبر»، بعد ذلك تأتي إلى «بسم الله». البسملة أيضًا لها أسرار يا جماعة؛ البسملة شُرعت في الأفعال والأقوال التي لها بال، كل قول وفعل له بال. انظر، هل فكرت فيها يومًا: لماذا البسملة؟ «بسم الله، بسم الله، بسم الله» نقولها، لكن ما فكرنا في مكانتها ومنزلتها.

إذا أردت أن تقوم قل: بسم الله، وإذا أردت أن تجلس تقول: بسم الله، وإذا أردت أن تأكل تقول: بسم الله، وإذا أردت أن تشرب تقول: بسم الله، وإذا أردت أن تنام تقول: بسم الله، وإذا أردت أن تأتي أهلك تقول: بسم الله، وإذا أردت أن تخرج من بيتك: بسم الله، وإذا أردت أن تدخل كذلك. ما هذه البسملة؟ لماذا شُرعت البسملة بهذه الطريقة؟ فكّر فيها؛ ما شُرعت إلا لمكانتها ومنزلتها.

◆ اسم «الله» خاص به سبحانه:

«بسم الله»: «الله»، هذا الاسم أيضًا عجيب. «الله» هذا الاسم الوحيد أيها الأحبة الذي لم يتجرأ أحد من الخلق أن يتسمى به، لا الكفار، ولا المشركون، ولا الشيطان؛ لم يتجرأ أحد أن يسمي نفسه «الله». هذا اسم خاص بالله، من خصائص الله عز وجل، ولا يُطلق إلا عليه، وهو المعبود بحق.

◆ الفرق بين «الله» و«الإله»:

هل تأملت هذا؟ البسملة لم يُقل فيها: «بسم الإله»، وإنما «بسم الله»؛ لأن كلمة «الإله» أيها الأحبة معناها أيضًا المعبود، وكلمة «الله» معناها المعبود، لكن ما الفرق بينهما؟ **الفرق بينهما أن كلمة «الله» لا تُطلق إلا على المعبود بحق، وهو ربنا جل وعلا، وأما «الإله» فتُطلق على كل معبود، سواء عُبد بحق أم عُبد بباطل**: اللات إله، والعزى إله، ومناة إله، والهوى إله؛ كل هؤلاء آلهة. وربنا جل وعلا إله، لكنه معبود بحق، وهذه آلهة معبودة بالباطل.

إذن كلمة «إله» معناها المعبود مطلقًا، سواء كان معبودًا بحق أم بباطل، وكلمة «الله» هي المعبود بحق فقط. وكلمة «الإله» أيضًا، إذا عُرّفت، وإن كانت في اللغة تُطلق على المعبود بحق وبغير حق، فهي في الشرع غالبًا تُطلق على المعبود بحق.

◆ معنى «اسم»:

إذن هل تفكرت في «باسم»؟ كلمة «اسم»: **الاسم هو ما يدل على المسمّى**. أنت أيها الأخ السامع ذات، لك اسم يدل عليك، يميزك عن الذوات الأخرى: اسمك محمد، اسمك خالد؛ هذا اسم دال على ذاتك، ومخصِّص لذاتك عن غيرك. والله له أسماء حسنى كثيرة، والاسم ما يدل على المسمى، و«الله» يراد به هنا ذات الله عز وجل.

◆ الباء للاستعانة:

فأنت عندما تقول: «باسم الله»، فالباء هذه يا جماعة، عند علماء اللغة، علماء النحو، طبعًا الحروف هذه لها معانٍ، والباء لها معانٍ كثيرة، **من معانيها الاستعانة**؛ بمعنى أنك عندما تريد أن تعمل عملًا، هذا العمل تحتاج إلى أن تُعان عليه، أن يعينك عليه غيرك حتى تقدر عليه، أن يقدرك عليه غيرك حتى تفعله. فأنت الآن تستعين، تطلب العون من الله بكل أسمائه الحسنى.

«بسم الله» كأنك قلت: بأسماء الله الحسنى أصلي؛ «بسم الله» أي مستعينًا بأسماء الله على الصلاة، مستعينًا بأسماء الله كلها على القراءة، على الكتابة، على المشي، على الذهاب، على كذا.

> **قاعدة أصولية**: يقول علماء الأصول: **الاسم المفرد إذا أُضيف فإنه يفيد العموم**. «باسم الله» أي بأسماء الله، بكل اسم من أسماء الله نستعين. لكن لا بد أن تضيفه إلى الله عز وجل: «بسم الله»، «بسم الرحمن»، «بسم الرحيم»؛ و«الله» و«الرحمن» و«الرحيم» هذه أسماء الله عز وجل، تستعين بها في صلاتك.

«بسم الله» أي: بكل اسم من أسماء الله عز وجل أستعين في أداء هذه الصلاة، إن كان فعلك صلاة. وإن كان فعلك قراءة، فكأنك تقول: بسم الله، مستعينًا بالله في هذه القراءة. وإن كان فعلك قيامًا أو ذهابًا... المهم أنك تستعين باسم الله عز وجل في كل فعل تفعله أو قول تقوله.

◆ لماذا حُذف ما يُستعان عليه؟

ولذلك يا جماعة **حُذفت الأشياء التي يُستعان عليها، سواء كانت أقوالًا أو أفعالًا**؛ ما قيل: بسم الله أقرأ، ولا: بسم الله أكتب، ولا أمشي، ولا أذهب؛ لأنك تفعل أفعالًا كثيرة، ولذلك أُطلقت لك البسملة لتستعملها في كل فعل تفعله أو قول تقوله. إذا كنت في قراءة تقول: بسم الله، إذن هنا نقدّر: بسم الله أقرأ. وإذا كنت في كتابة تقول: بسم الله، تقدّر: بسم الله أكتب. وإذا كنت في صلاة: بسم الله أصلي. وإذا كنت في طعام: بسم الله آكل. وهكذا، هذه الأشياء نقدّرها تقديرًا بحسب الفعل والقول.

سادسًا: أسلوب الفاتحة: من الثناء إلى الخطاب:

إذن يقول المؤلف رحمه الله تعالى: «ويقدَّر في أولها»... جرّنا إلى هذا الحديث الطويل مسألةُ التدبر والتأمل في الفاتحة.

◆ الآيات الأولى ثناء، وما بعدها خطاب:

الفاتحة يا جماعة هي: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ على القول بأنها منها، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾. انظر إلى هنا، هل فكرت أنت في هذا الكلام إلى هنا؟ هذه الآيات الثلاث إذا قلنا: البسملة ليست منها، وإذا قلنا: البسملة منها، فهذه أربع آيات: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ هذه الآية الأولى، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الثانية، ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ الثالثة، ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ الرابعة. ومن الآية الخامسة... الله! انظر إلى القرآن، وبلاغة القرآن، وعظمة القرآن، وإعجاز القرآن، انظر إلى هذه الأساليب القرآنية العجيبة.

بدأ القرآن بـ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾؛ ما قال: «أحمد الله»، ولا قال: «أقول: الرحمن الرحيم»، ولا قال: «أقول: مالك يوم الدين»؛ قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، ثم انتقل وخاطب.

الآن انظر للخطاب، أن تتأمل هذا في صلاتك يا أخي عندما تقرأ الفاتحة؛ انظر لهذا الأسلوب: الآيات الأربع الأولى أو الثلاث الأولى أسلوبها اختلف عن الآيات التي بعدها. ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾: أنت الآن بدأت تخاطب الله، تكلمه. الآن عندما تتكلم مع إنسان تقول له: «أنت»، هذا خطاب: «أنت فعلت كذا»، و«إياك أريد»، و«إياك أكرم» مثلًا، و«إياك أعطي»؛ الآن أنت تخاطب؛ «أنت» ضمير خطاب. ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ليس فيه خطاب، ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ليس فيه خطاب، ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾؛ هذه كلها صفات لله عز وجل ذكرها الله عز وجل في بداية السورة.

◆ من القائل في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾؟

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾: من الذي يقول ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾؟ هو أنت، أنت أيها القارئ، أنت أيها المصلي. لكن من الذي قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾؟

> **تنبيه:** ما معنى «أنت»؟ ليس معنى ذلك أن القرآن أنت الذي أنزلته! لا، الفاتحة كلها كلام الله، والقرآن كله كلام الله منزَّل. أنت الآن علّمك الله عز وجل أن تقول هذا، أن تخاطبه بهذه الطريقة؛ ولذلك لما تقرأ الفاتحة

وتصل إلى ﴿إِيَّاكَ﴾ تبدأ الخطاب، تخاطب الله عز وجل. إذن هذا كلامك، كأن القرآن حكاه وذكره: أنت القارئ تخاطب الله وتقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

خطاب. ﴿اهْدِنَا﴾: الآن تطلب من الله، تخاطبه بالطلب: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾. انظر، عندك خطاب من ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ إلى آخر السورة. هل فكرت وتأملت وتدبرت هذه الأساليب العجيبة؟

قلنا: من ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ إلى آخر السورة هذا كلامك. و﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ كلامُ مَن؟ هل هو كلامك أنت، أثنيت به على ربك وحكاه الله عز وجل؟ أو هو كلام الله عز وجل، أثنى به على نفسه؟

◆ اختيار المؤلف: الفاتحة كلها من كلام القارئ:

المؤلف يقول: **الأفضل أن نجعل الفاتحة كلها من كلام القارئ**. قلنا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ إلى آخره هذا واضح، كلكم يعلم أنك أنت الذي تخاطب، هذا كلامك. لا تقل لي: كلامي؟ هذا كلام الله عز وجل! أنت علّمك الله عز وجل أن تخاطبه بهذه الطريقة، فالآن في أثناء مخاطبتك لله عز وجل كأنك أنت الذي قلت هذا الكلام.

إذن المؤلف يقول: الأفضل، كما أن ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ إلى آخر السورة هذا كلام المصلي، أن نجعل ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ أيضًا كلام المصلي، ونجعل الفاتحة كلها من قول العباد. وإذا أردنا أن نجعلها كلها من قول القارئ فلا بد أن نقدّر فعلًا في البداية: «**قولوا**» أيها الناس، قولوا يا عبادي؛ كأن الله قال: قولوا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾. إذن أنت الآن أمرك الله أن تقول، فقلت: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ إلى آخره.

إذا قدّرت «قولوا» في بداية السورة فأنت جعلت السورة كلها من كلامك، من كلام العباد. وإذا لم تقدّر جعلت الفاتحة قسمين: قسم من الله عز وجل، وقسم منك، وهذا جائز، ما فيه إشكال، العلماء قالوا: هذا صحيح.

◆ معنى التقدير عند علماء اللغة:

وجعل الفاتحة كلها من كلام العباد لا يكون إلا إذا قدّرت في المعنى، معنى: قدّرت في نفسك؛ وليس معنى «قدّرت» أن تأتي بكلمة «قولوا» وتتكلم بها فتقول: الله أكبر، قولوا: بسم الله الرحمن الرحيم! لا، لا، لا. **التقدير**

عند علماء اللغة، إذا قرأت اللغة تفهمه: لفظٌ يُقدَّر لبيان المعنى، وأحيانًا لصحة المعنى؛ يعني اللفظ غير موجود، لكن المعنى يحتاج إليه، فنقدّره. فنقول مثلًا: نريد أن تكون الفاتحة كلها من مقول، أي من قول العباد.

◆ الفاتحة تعلّمك أدب الدعاء: الثناء قبل الطلب:

الجزء الأول، الآيات الثلاث أو الأربع الأولى (وسيأتينا السر في هذا الأسلوب إن شاء الله)، هذا كلامك يا فلان، وكلامي، وكلام فلان، أثنينا به على الله، بمعنى: وصفناه بصفات الكمال والجمال والجلال، وصفناه بالصفات الجميلة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

«رب»: الرب سنأتي عليه بعد قليل. إذن أنت قلت: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، هذا ثناء، و﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وصفته بأنه رب العالمين. كل ما سوى الله فهو عالم: ما عدا الله من البشر، ومن الجن، ومن الشجر، ومن الحجر، ومن البحار، ومن كل هذا الكون، يسمى عالمًا، ومن الأنبياء والصالحين، والجنة والنار؛ كل هذه المخلوقات تسمى عالمًا، من ربها؟ الله. إذن أنت أثنيت على الله بـ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، وقلت: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أيضًا ثناءً على الله عز وجل، وقلت: ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ كذلك أثنيت على ربك بهذين، و﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾: يوم الجزاء، يوم القيامة، أيضًا ذكرته هنا. ثم بعد أن أثنيت بدأت بالخطاب.

هل تأملت أن هذا الأسلوب يعلّمك؟ لا تبدأ وتقول: اللهم أعطني، اللهم كذا؛ ولكن ابدأ بالثناء عليه، وابدأ أولًا بذكر الجميل؛ الله يحب الثناء، ويحب أن يُذكر به. علّمتك الأدب، قالت لك: انتبه، لا تبدأ على طول: اللهم أعطني؛ بل: اللهم لك الحمد على نعمك، اللهم أنت الرحمن، أنت الرحيم، أنت الملك، أنت اللطيف، أنت الودود؛ أثنِ على ربك أولًا. لو تدبرت الفاتحة لوجدت هذه العلوم العظيمة.

> **فائدة:** الفاتحة علّمتك كيف تدعو الله عز وجل: أولًا قدّم الثناء على الله عز وجل، ثم بعد ذلك اطلب من ربك ما تريد؛ هذا أحرى بأن تُستجاب دعوتك. وليس معنى ذلك أن الذي لم يُثنِ لم تُستجب دعوته، لا، لا، لا؛ وإنما هذه آداب، وهي تقرّب الإنسان من مطلوبه، وتقرّبه من استجابة دعوته؛ لأن الله يحب أن يسمع منك الثناء عليه.

سابعًا: لماذا قدّر المؤلف «قولوا»؟

◆ المناسبة بين أول الفاتحة و﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾:

إذن هذا معنى قوله: **ويقدَّر في أول الفاتحة «قولوا»**. لماذا يا شيخ جلال الدين نقدّر؟ قال: **ليكون ما قبل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾**. ما هو الذي قبل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾؟ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، و﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾، و﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، و﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ على القول بأنها منها؛ لتكون الآيات الثلاث أو الأربع هذه التي قبل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ **مناسبة لـ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾**. مناسبة له في ماذا؟ لأن ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ من مقول العبد، فتكون الآيات الأولى أيضًا تناسب ذلك بأن تكون من مقول العبد.

> **قاعدة:** العلماء يقولون: **المناسبة بين الأشياء أولى من المخالفة بينها**؛ أن تكون الألفاظ متناسبة، وأن تكون الأساليب متناسبة، هذا أولى من التخالف، وإن كان التخالف أيضًا جائزًا ومؤديًا للمراد. ولكن كونك تقدّر «قولوا» ليكون ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إلى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ من أقوال العباد، كما أن ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ من أقوال العباد، هذا أولى.

هذا معنى قوله: «ويقدَّر في أولها: قولوا؛ ليكون ما قبل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ مناسبًا له»، والضمير في «له» يعود على ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، أي مناسبًا لـ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ **بكونه من مقول العباد**.

◆ وإذا لم نقدّر: الفاتحة قسمان:

إذا لم نقدّر فتكون الفاتحة قسمين: قسم من مقول الله عز وجل، أثنى به على نفسه، وهذا أيضًا كلام لا إشكال فيه، وجميل. ولماذا الله عز وجل أثنى على نفسه؟ كأنه أثنى عنا؛ يعني نحن لا نستطيع أن نثني عليه، فأثنى على نفسه بدلًا عنا، وهذا من رحمته، وكذلك يعلّمنا كيف ندعو، بأن نبدأ بالثناء.

إذن إذا لم نقدّر «قولوا» فتكون الآيات الأربع الأولى من الله عز وجل، هو بنفسه قال عن نفسه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وقال: ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾، وقال: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾؛ الله هو القائل. نعم، و﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ هذا كلامك، هذا خطابك، وهذا أيضًا لا بأس به، جميل. لكن قال المؤلف: التقدير، يعني يجعل الفاتحة كلها من كلام العباد.

إذن انتهى المؤلف من هذه المسألة المهمة، وهي أن تكون الفاتحة من مقول العباد، وهذا أفضل.

ثامنًا: قوله ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾:

قال الجلال المحلي رحمه الله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾.

◆ **البسملة آية من الفاتحة في مصاحفنا، وعند الجلالين:**

ثم ذكر رحمه الله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾. كما تلاحظون يا جماعة، المصاحف التي عندكم، أنت الآن مثلًا المصحف الذي عندك هذا برواية حفص، وحفص كوفي، من قراء الكوفة، وسبق أن قلنا: الكوفيون والمكيون البسملة عندهم من الفاتحة؛ ولذلك تجد ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ في آخرها رقم واحد.

بمعنى أن أهل الكوفة وأهل مكة، ومنهم الإمام الشافعي رحمه الله تعالى، وهو مكي، يرون أن البسملة من الفاتحة. والإمامان المحلي والسيوطي شافعيان، هما على مذهب الشافعي في الفقه، فالبسملة عندهما أيضًا من الفاتحة.

خاتمة المجلس:

الآن نبدأ يا جماعة بـ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾. انتهينا من هذه المقدمة التي لا بد منها، وهي أن الفاتحة سبع آيات، وأنها في أولها ثناء، وفي آخرها خطاب ودعاء وسؤال. الآن نأتي إلى تفصيل هذه الفاتحة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾.

عن الكتاب: سبق أن قلت لكم في المجلس السابق: إن هذا الكتاب كتاب عظيم، وهو ليس سهلًا... هو جيد، ولكن نقول: إنه من **السهل الممتنع**، كما سبق أن وصفناه؛ هو سهل لعباراته القصيرة، ولكنه يحتاج إلى تركيز حتى نستفيد منه، وفيه علوم كثيرة. الآن انظر إلى المقدمة التي ذكرناها، انظر إلى العلم الذي استفدته اليوم من قوله: «ويقدَّر في أولها: قولوا»؛ لتكون الفاتحة كلها من أقوال العباد، وإذا لم نقدّر فإن الفاتحة تكون قسمين: قسم للعباد، وقسم من الله عز وجل أثنى به على نفسه.

في كلام جميل حقيقةً الآن، نريد أن نصل إلى ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وإلى ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾، وإلى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾... الله أكبر، يعني خلاص نتوقف.

بارك الله فيكم. سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.